يوسف وياسمينة

شخصيات المسرحية

يوسف	عاشق موصلى فى الثامنة عشرة
شفيقة	جارية ياسمينة
أبو الفضول	الحلاق . متوسط العمر
ياسمينة	بنت قاضى بغداد. معشوقة يوسف
الخليفة	
الوزير	
قاضى بغداد	
السياف مسرور	

المكان : . . بغداد الخيالية

الزمان : . . القرن الخامس أو السادس الهجرى أو كما تشاء . .

المنظـــر : بهو دار عربية متوسطة ، هى جناح فى الطابق العلوى .
الباب فى الصدر فوقه عقد مزخرف وإلى جانبيه شباكان بمشربيتين مغلقين ، يتسلل من فتحاتهما الكثيرة الصغيرة ضوء النهار الوحيد الذى ينير المسرح . وتحت كل من الشباكين كرسى بعرض الشباك قماشه حسن . فى داخل الحائط الأيمن دولاب ضلفتاه مرآتان عاليتان ، يليه فى مستوى أكثر انخفاضا نتوء فى الحائط كالرف يزينه عقد صغير من فوق ، وجزء منه منحوت داخل الحائط وعليه ابريق نحاسى جميل به زهور . وتحت الرف طست وابريق ماء على قاعدة . ويلى الرف فجوة صغيرة فى الحائط منخفضة يبرز منها صندوق عربى مزين بالنقوش مما يستخدم لمتاع السفر يغلقه سيخ طويل يبيت فى سقاطة ، وأمامه ساتر (بارافان) من أربع ضلف . أما الحائط

الأيسر ففيه فتحة باب مفضى إلى غرفة نوم يمكن أن يبدو منها طرف سرير منخفض ومفروش فرشا ثريا ، إلا إذا سحبت الستارة فأغلقت الباب تماما. ويلى الفتحة صينية عربية نحاسية كبيرة حولها كرسيان وفوقها أبريق وكأسان نحسيتان ومسرجة على رف صغير .

الجو معتم يضطر الداخل من الباب أن يتوقف لحظة حتى تعتاد عيناه درجة الضوء فى الغرفة ، رغم أننا صباح يوم جمعة من أيام بغداد الخيالية .

. . فى المسرح يقف يوسف وحيدا مواجها العالم — أيا كان الاتجاه الذى يرى المخرج أنه محقق لذلك ـ شاب فى الثامنة عشرة من عمره وأن كان ملبسه يوهمك أنه أكبر من ذلك سنا بكثير ، أقرب بنحافته وعصبيته للمراهق فى سن الرومانسية. وهو يحدثنا بلسانه بلهجة المعترف وبروح الذى يكتب للعالم مذكرة أخيرة ، وفى صوته رنة شجن لا تفارقه أبدا ، وميل كوميدى إلى المبالغة الدرامية فى انفعاله، وفى استجابته لمثيرات العالم الخارجى .

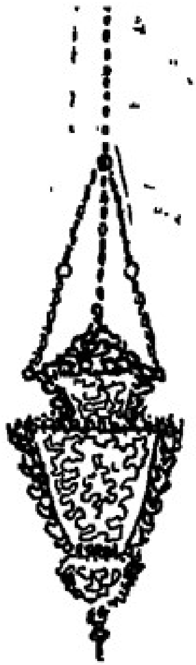

يوسف : أنا يوسف الموصلى ابن شبندر تجار الموصل ، ولى
قصة لو كتبت بالإبر على آماق البصر صارت عبرة
لمن يعتبر . لما رأى أبى أنى شببت عن الطوق أراد
أن يدربنى على التجارة والسفر فأوفدنى إلى بغداد مع
رسالة من أثواب الموصلين ، فلما أتيت سوق المدينة
العظيمة — لأول مرة مغتربا فى حياتى — سألت
عن دكانة الشيخ عيسى كبير تجار الأقمشة كما كان
أبى قد أوصانى ، فرحب بى الشيخ وسقانى شربات
الورد وأجلسنى إلى جانبه ، وصار يحدثنى ويسألنى
عن أبى وينفعنى بنصائحه. فبينما نحن نتجاذب الحديث

إذ وقع بصري على وجه ما رأيت فى حياتى أجمل منه، وسمعت صوتا ما رن فى أذنى أعذب منه. وقام الشيخ من فوره هو وصبيانه، وأخذوا يتنقلون بين يدى زبونته، وهى تقلب الأثواب. وقع فى قلبى حبها، وغشى على لحظة لم ينتبه لى فيها أحد. ولما أفقت كانت لا تزال واقفة هناك كأن الله قد علق لى فى جبينها درة يتيمة سحرتنى.

وما أن ذهبت حتى لاحظ الشيخ عيسى ما أنا فيه من هم، فسألنى فأجبته، فاغتم لذلك واصفر وجهه وقال لى «شفاك الله يا بنى يا يوسف. نصيحتى لك أن ترحل فى الحال، فهذه ياسمينة بنت قاضى بغداد، ولا سبيل لك إليها أبدا، فإن أباها رجل فظ له طباع وحشية، وقد أعد ابنته ليزوجها الوزير تقربا وزلفى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»

قمت من فورى أترنح كالمخمور. وتبعتها كالمجذوب لا أحول نظرى عنها.

فلما طالت السكة لاحظت ياسمينة أنى أتبعها

كظلمها ، فأرسلت جاريتها تسألنى ، فبثثتهـا همى .
وأخـــذت الجارية تجرى بينى وبينها بالرسائل.
والأشواق المستحيلة طيلة شهر عشته فى هذه الدار
متخفيا حذرا .

أضنانا الشوق وطول السهر ، فاتفق رأينا على
أنه لا حياة لنا فى هذا العالم .

العشاق يموتون جيلا بعد جيل فى مثل هذه
القصة، لا تنفعهم دموع الصبايا أوحوقلة المتحذلقين .
لقد قررنا أن نموت معا ! .

أعددت السم الزعاف فى الشربات المسكر هنا
(مشيراً للأبريق فوق الصينية) واليوم هو الميعاد ،
وكل شىء جاهز . (طرق على الباب ، مفاجىء ومتلاحق .
يتقزز ويردد بصوت مبحوح) آه ! صوت فظيع !
شىء مزعج ! من ؟ .

صوت : (من الخارج ، حاد رغم محاولة صاحبته أن تكتم جلجلته)
أنا شفيقة . جاريتك شفيقة . أفتح الله يفتح لك بابه
المنى يا رب .

يوسف : (يفتح الباب) ش . صه . الناس تسمعك .

شفيقة : (مهينة ، ولكنها خفيفة الحركة جداً، تتزاحم الكلمات فى فمها إذا انفعلت حتى لتعجب كيف يسعه كل هذا الحشد من الأصوات . وجهها يعكس بفصاحة ووضوح ما ينفعل به قلبها ، وما أكثر ما يتقلب فى قلبها من مشاعر متلاحقة ومتناقضة أحياناً ، سرعان ما تقطب بعد انشراح وتغتم بعد فرح ويدها تمتد قبل أن ينطق لسانها ، فهى تترجم أفكارها بيديها أسرع مما تترجمها بلسانها . تدخل البيت فى زيطة وفى فرح ، على نحو قد تتوهم به أن كثرة من الناس دخلت معاً قبل أن تتبين أن الباب لم يسلم إلى المسرح غير شفيقة جارية ياسمينة) اليوم الجمعة والناس ملهية فى حالها. يا نهار أبيض يا شاب ! أين أنت ؟ (تتوقف لحظة لتتبين معالم الغرفة ولكنها تصل الصياح لا تقطعه) يا ألف نهار أبيض ياسى يوسف. يا يوم الهنا ! (وقد تبينت طريقها للغرفة الداخلية) ياسرير المنى ! (يعترض يوسف طريقها فترتد) يا شباك السعد ! ..

يوسف : لا تفتحى الشباك .

شفيقة : أراك . .

يوسف : الناس ترانا .

شفيقة : (تبينت طريقها للأبريق فوق الصينيـــة) يا شربات الياسمين !

يوسف : دعى الأبريق مكانه .

شفيقة : أذوقه . .

يوسف : (نافد الصبر) ليس هذا لك .

شفيقة : لمن ؟ لكما ؟ (تضحك فى خبث) هنيآ لك يا شاب . جهزت كل شىء ؟ أرنى الأمتعة (تنطلق فى طريق الصندوق) أرنى ما أعددت .

يوسف : أف ! لا أستطيع أن ألاحقك . كفى عن الصياح والتنطيط .

شفيقة : (تخبط صدرها) أكف ؟ ! يا سعدك يا شفيقة ! يا يوم مناك يا شفيقة . عرس سيدتك يا شفيقة ! عرسك ياشفيقة ! هناء حبيبتك ياشفيقة ! (تزغرد) .

يوسف : (يجذبها من ذراعها بغلظة) إخرسى .

شفيقة : (تنكمش مذعورة وإن كانت لهجتها معاتبة) إسم الله عليك يا شاب . بنتى ! بنت سيدتى ! بنت الأكابر ! بنت قاضى بغداد ، وجليس الحكام ! ياسمينة التى أرضعتها ودعكتها بالفل والياسمين ، هننتها وهى صغيرة وصرت أمها بعد ما ماتت أمها . . حتى استدارت واحلوت وتفتح قلبها (تغرورق عيناها) الآن أودعها فراش هنائها ، وتريد أن تخرسنى ، لا أفرح ؟ !

يوسف : (ثانيا للموقف) أنا أكره أن أحـــزنك، ولكننا لا نزال فى قمة الخطر، ولو انكشف المستور ..

شفيقة : ياخرابى ! تف من فمك .

يوسف : لو بلغ أباها خبرنا ..

شفيقة : تف تف تف ! كفى الله الشر .

يوسف : ترتعدين لمجرد تصور ذلك .

شفيقة : أخافه كغول .

يوسف : ومع ذلك تصيحين وتزغردين وتكادى تنادى الجيران ليأتوا يتصايحون معك .

شفيقة : ربنا يتمم بخير يا شاب، ويكتب لك السلامة .

يوسف : لقد أجرت هذه الدار لأمر خطير جداً . لم يسمع جار هنا دبة نملة . أدخل وأخرج بلحية زائفة واسم مستعار وعمامة كحجر الرحى وسبحة وزنها رطل .

شفيقة : هيء هيء هيء .

يوسف : ماذا يضحكك .

شفيقة : أتصورك بهذه الهيئة .

يوسف : أمر لا يضحك .

شفيقة : ما أحلى هذه الحكاية ، وما ألذ روايتها . كان سيدى يوسف يتنكر فى هيئة الدراويش خوفاً من أبيها ويأوى إلى دار مظلمة ككهف على بابا . هيء هيء .

يوسف : (بحنق) وتجيئين أنت بهذه الزيطة لتفسدى كل شىء . وأنت لا تعرفين حتى لماذا جئت هنا .

شفيقة : لا أعرف لماذا جئت هنا ؟ !

يوسف : ألم أحملك رسالة لسيدتك ؟ ألا تحملين إجابة على الرسالة ؟

شفيقة : آه طبعاً . أمال . إهيه ! اتفقنا على كل شىء . كل شىء جاهز . جهز نفسك أنت .

يوسف : متى تجىء ؟

شفيقة : رتبنا كل شىء بالضبط (بصوت خافت ولهجة خطيرة) سيخرج سيدى القاضى بعد ساعة ، قبل الصلاة بقليل ، ليذهب لقصر الخليفة فيرافق موكبه إلى المسجد . وما أن يخرج حتى تتسلل ياسمينة فى ثياب خادمة ، وأنا أرشدها (يرتفع صوتها تدريجيا) ثياب الخادمة من فوق فقط . أما تحتها فقد أعددت لها . .

يوسف : هل رآك أحد وأنت داخلة ؟

شفيقة : أنا ؟ قطع ؟ !

يوسف : أسمع ضوضاء فى الطريق .

شفيقة : اليوم الجمعة . لا تلق بالا . أنا محسوبتك . كما تحب. لا أحد يرانى .. أنا عبيطة ؟ ! لقــــد جئت جرياً تملأنى الفرحة . طاش صوابى .. فستان الخادمة من فوق فقط .. أما تحته فقد أعددت لها فستاناً أبيض كملاك .. وسراويل ! (تضحك فى خبث) دهنتها من فرق لتحت بزيت الفل .. نوارة العرب .. ست البنات .. زينة لفراش وزير ..

يوسف : أف ! اسكتى .

شفيقة : (تستدرك) لكن بعينه وزير النحس .. برميل الزفت ! يشك فى قلبه لا يعى ! أنا ؟ حبيبتى تهدر عمرها فى تدفئة شيخوخة المنحوس ؟ !

يوسف : (متأذيا جانبا) كلمات رخيصة .

شفيقة : بنتى غالية !

يوسف : (يواجهها) هل تعلم وتفهم لماذا تجىء ؟

شفيقة : قالت لى : « فهميه أنى عرفت ما يقصــــده وهيأت نفسى له » .

يوسف : (مثارا قليلا) صبراً صبراً . حان الوقت ولكن أين الصبر ؟

شفيقة : كلها ساعة وتجيئك بلحمها ودمها .

يوسف : (يزداد توترا) لا تعرفين ما أنا فيه .

شفيقة : يا ضناى ! أعرف والله . أنتم يا عشاق لا تطيقون الصبر . وأنت بالذات يايوسف . أتذكر يوم تبعتنا فى السوق ؟ ياذا اليوم ! يا ذا اليوم !

يوسف : ساعة رأيتها قلت : «يا يوسف . لقد جعل الله هلاكك على يد هذه الصبية» .

شفيقة : بل حياتك .. كفى الله الشر .

يوسف : آه لو تعرفين ! لو تعرفين !

شفيقة : عارفه ياضناى .. عارفه .

يوسف : هل عندها من الصبابة مثل ما عندى ؟ هل تحبنى أكثر من الحياة نفسها ؟

شفيقة : ألف مرة تسألنى هذا السؤال .. ليتك كنت معنا ذلك اليوم وأنا أقرأها رسالتك التى عاهدتها فيها على الحب إلى الأبد .

يوسف كيف أنصتت لها ؟ آه .. كم مرة حكيت لى هذه الحكاية ؟

شفيقة : إهيه ! سأحكيها لك من ثانى .. كل حكاياتها .. صبراً أمال ! ماذا فاتك يا شفيقة .. أعددت كل شيء ؟ دعنى أرى وجهك .. إهيه ! اخلع هذه العباءة . البس قميصاً خفيفاً . الله ! صدارى ! انت عجوز ؟ ! اخلع ..

يوسف : لا تقابي فى ملابسى هكذا .

شفيقه : احلق ذقنك. خشنة .. استحممت ؟ لتتزوج لابد أن تستحم . ما هذا ؟

يوسف : تفتشين جيوبى !

شفيقة : أنظر مافيها .. ليس عندك منديل ؟ المنديل ينفع. سأجد لك كل شيء . القميص والمنديل وكل شيء . . هنا

يوسف : دعى هذ الصندوق .

شفيقة : متاعك . . كيف تسافر ؟ افتح الشباك حتى أرى . هذا الساتر موضعه أين (تقف حائرة والساتر فى يديها).

يوسف : عدت مرة أخرى ، مجنونة كما بدأت . ارجعى !

شفيقة : أرتب لك الفراش . الله !

يوسف : (يقبض على ذراعها) لا فراش ولا غيره. اهدئى! اهدئى!

شفيقة : أى . ذراعى توجعنى .

يوسف : لتتذكرى ! أتمى رسالتك .

شفيقة : يادى النسوة ! كنت احكى لك ايه؟ تلك الحكاية . . لهفى عليكما . آه ! الصبا ! الصبا ! دعنى أتذكر : « الليل اعذب من فراق العاشق » هذه كلماتك . ما أحلاها وما أمرها ! مثل : احبك موت . ليلتها احتضنتها فى سريرها كما لو كانت طفلة رضيعة . ياسمينة . فواحة . دافئة . ماأنضرها! صدرها. نخذاها. خصرها . شعرها . . آه . . آه . .

يوسف : إحم .

شفيقة : وكلماتك : « الليل اعذب من فراق العاشق » ! الله يعلم أنها تشتهى وصالك كما تشتهى الحياة .

يوسف : (متألما) آه ؟ !

شفيقة : ما أن قرأتها كلماتك ألقت برأسها على صدرى وجعلت تبكى بحرقة فبكيت لها (تغرورق عيناها من جديد) حتى تقطعت أنفاسنا . فلما أفاقت صارت تقول : « لبيك أن كنا هنالك نلتقى » (تغمز بعينها) ، وتغرق وجهى بدموعها السخنة . . وانكمشت طيلة ذلك الليل فى حضنى تسألنى .

يوسف : عما كانت تسألك ؟

شفيقة : ياضناى عن أمها وأيام طفولتها : « كيف ولدت ومتى وأين ؟ كيف كان شكلى وطولى وعرضى وشعرى وكيف نبتت اسنانى . . وآه ياليتنى ما كنت ولدت ولا تعذبت يادادة » . . الله ! سيدى ! ياخرابى !

يوسف : (مفيقا من غشية مفاجأة) لا شيء . .

شفيقة : لا بأس عليك يايوسف . عاودك المرض ؟

يوسف : الله يعلم كم هى بريئة .

شفيقة : خذ بعض الشربات تنتعش .

يوسف : دعى هذا الإبريق . ليس الآن .

شفيقة : (متخابثة) أعددته لخلوتكما ؟

يوسف : نعم .

شفيقة : لا بد أن فيه شيء .

يوسف : أى شيء ؟

شفيقة : لا أدرى ؟ شباب هذة الأيام له حاجات. هيء هيء!

يوسف : (متأثراً) نعم . إن فيه شيء .

شفيقة : (ملهوفة) يوسف ! إياك أن تلوثها! لا بد من الشهود والأشهار .

يوسف : صه ! ما أشنع ما توهمته .

شفيقة . لا تؤاخذنى . أنا لا أعرف كيف أتكلم . ولكن قلبى يا كانى عليكما . إما كان بوسعك أن تتزوجها كما يتزوج الناس ؟ أن تلح على أبيها . .

يوسف : (يزم شفتيه) لا تكررى هذا الكلام . انتهى !

شفيقة : يعز على أن تتزوج حبيبتى بلا حفل ولا غناء ولا زغاريد.

يوسف : أف ؟ لا تزيدى .

شفيقة : الله يعلم أنى كنت أود أن أضيء لها بغداد كلها قناديل ، وأن أجمع تحت قدميها زهور البساتين . .

يوسف : ألم أكن أنا أود ذلك ؟

شفيقة : وأن أملأ لها الأرض والسماء غناء ، وأن أقدم لفقراء المدينة اللحم السخن والماء المسكر ، وأن أجمع حول

ياسمينتي أبكار بغداد وأملأ قلوبهن بالحسرة والأحلام.
آه ! آه ! ياحسرتى أنا ..

يوسف : إذهبي الآن بسلام، وبلغيها إن كل شيء جاهز . وأعلمي ياشفيقة إني أحمل جميلك فوق رأسي . لن ننساك .

شفيقة : ياحسرتى ! إذا كنت تحفظ جميلي حقا ، قل لي يا يوسف أين تسافران . . أى مركب سيحملكما. أى نجم سيهديكما . . ياشبابي ! يا شبابي !

يوسف : أما اتفقنا على ألا سؤال .

شفيقة : هكذا ؟ ! أنسلت كالشعرة من العجين ؟ قلبي يأكلني. أى ليل هذا الأحلى من فراق العاشق ؟ ما أعذبه وما أمره ! هل يضيئه ألف قنديل ؟ أم يضيئه قنديل وحيد مغترب ؟ ..

يوسف : فضولية ككل الجاريات . اذهبي الآن .

شفيقة : سرك فى بئر يا شاب . أنا ؟ ! أنا أفشي سراً ؟ ! لا أكون شفيقة ولا أسمى باسمي لو لم أكن كتومة كقبر . لن أراها بعد اليوم . أحب الناس عندى من أعشقها كغلام ضائع . . من أهواها . .

يوسف : (بامتعاض) عدنا .

شفيقة : لا أعرف حتى أين تذهب ! كلمة واحدة كيما أفرح . كى أراها فى منامى بلا قلق . هذا عرس حبيبتى

ولا أفرح كالناس . الدار معتمة وهواؤها محبوس .
ولكنى سأفرح رغم ذلك، سأضحك وأزغرد وأفتح
الشبابيك وأزيط ..

يوسف : كفى ! الناس تسمعك .

شفيقة : ما الفرح إذن ؟ لا بد أن أعلن للناس. أكيد العواذل وأفرح الأحباب وألم العيال . .

يوسف : سأمنعك !

شفيقة : ماذا تعرف أنت عن الزواج .. ستنحس البيت !

يوسف : صه !

شفيقة : لا بد أن تغير ملابسك . إخلع هذه العباءة . أعددت متاعك ؟ سأرى بنفسى .

يوسف : قفى ! ارجعى !

شفيقة : لا شيء هنا ؟ ماذا أفعل ؟ أم العروسة ولا عرس. لا متاع ولا بهجة ولا شيء .. الزواج هنا؟ ليس هنا؟ أكون معكما حيث تتزوجان . يالله! لا بد أن آتى معكما. هه

يوسف : دعى هذه الأشياء

شفيقة : ضع هذا الساتر أمام الشباك ، وافتح الشباك . لا بد أن أراك . لم تحلق ذقنك . لا بد أن أكون معكما حيث تذهبان .

يوسف : دعى الابريق !

شفيقة : ماذا وضعت فيه. اياك أن تكون وضعت لها منوما.

يوسف : (محنقا جداً) شفيقة ! أخرجي من هنا ! أخرجي حالا ! حالا !

شفيقة : (تشهق) تطردني ؟ !

يوسف : انت مبتذلة ، وفضولية جداً . ما شأنك أنت بكل هذا ؟ ما شأنك ؟

شفيقة : (تنهار باكية) أنا ما شأني ؟ ! أنا ؟ ! أنا ما شأني أنا ؟ ! أنا ؟ !

يوسف : لوثتني وجرحت مشاعري. ضيعت وقتاً ثمينا وقلبت دماغي . أريد أن أهدأ .

شفيقة : تطردني ؟ ! أنا ؟! (صوتها يتسايل بالمعاتبة والاسترحام) يدي كم حملت رسائل . . وشاحي كم ستر . . صدري كم أغرقته دموع .. قلبي كم انكسر ودق وكتم أسرار وأشجان . . ياحزنك ياشفيقة ! آخرتها ياشفيقة . .

يوسف : لا أحب أن يتدخل الناس في شئوني .

شفيقة : لاني باكية على أموركما ،وأريد أن أشرب شربا تكما بعد كل ما عانيته . . لأني أريد أن أهيئك للقائها في أحسن هيئة ، واطمئن قلبي على مصيركما . . أنا أمها وجاريتها وحبيبتها ؟

يوسف : أبغض شيء يستفزني الفضول . . الفضول أنواع . . فضول فج خام ، وفضول ملفوف برقائق الشفقة المحلاة بالسكر . فضول ظمآن كالشهوة ، وفضول متلصص كما تتشمم الكلاب تبحث عن أسرار للناس في القمامة . لا أحبه . يثيرني كما تثير رائحة الدماء الثيران . .

شفيقة : ياحزني يا أنا ! ياللي انكسر بخاطري يا أنا ! في يوم زواج بنتي يا أنا ! آه . .

يوسف : لا تسأليني . لا ترعى شئوني . لا تشفـــق على . الزمي حدك !

شفيقة : يوسف . . انت لم تشرك أحداً في سرك .

يوسف : أبدا .

شفيقة : لا أخ ولا صديق ولا قريب ؟

يوسف : ليس لي أخ أو صديق أو قريب .

شفيقة : عجباً ! أنت لاتحب الناس .

يوسف : لا أحب المتطفلين والبهاليل . لا أحب المشفقين ولا الشامتين . لا أحب ناس هذا العالم الطامع الخبيث .

شفيقة : أعجب كيف أن قلبك لا يسع إلا حب فرد واحد . علم الله انى أحبك يا شاب مع ذلك . انت لا تحبني ، ولكنى أحبك . . صوتك الشجي ، ووجهك المحزون .

يا للشباب ! ياالشباب ! اسم مستعار ولحية نافشة وعمامة كحجر الرحى . . هأ هأ (من خلال دموع لم تجف بعد) يوسف العاشق الصغير يخطف بنت القاضي فى عز الظهر !

يوسف : ش ! صه ! اسمع ضوضاء فى الطريق . ألم يرك أحد؟

شفيقة : أقبل يديك . دعنى أكبس قدميك . أى قافلة ستحملكما إلى البصرة ؟ أى مركب سيقلع بكما فى عرض البحر ؟ أى عش سيحتضن جسديكما السخنين ؟..

يوسف : اسكتى ! (متسمعا) شخص يصيح .

شفيقة : (كطير يرفرف فى الفضاء ، خفيفة رشيقة حالمة) متى تخرجان من بوابة بغداد ؟ فى زى ولدين ؟ سبحان ما اشبهكما فى ملابس الغلمان ! الأمراء أم الشحاذين؟ أى ليل أحلى من الفراق سيستر عناقكما ؟ أى قنديل زيته معطر سينير وجهيكما ؟ قران فى التمام . أى فطائر محلاة بالسكر ستحملان فى امتعتكما ؟ آه . . لو كنت فى بقجتكما ، كنت أمزق خرقا فى جنبها لاراكما واذرعتكما متشابكة . .

صوت : (من الخارج) ياست ياصاحبة البقجة !

شفيقة : (تقفز) البقجة ! افتح الشباك ! ياخرابى !!

يوسف : مكانك ! اسمع ضوضاء فى الطريق ، ورجل لايزال يصيح .

شعيقة : الحمال . . البقجة ! هرب . سيهرب حالا .

يوسف : (يقبض على ذراعيها) عم تتحدثين ؟

شفيقة : البقجة . . دعنى .

يوسف : أى بقجة ؟

شفيقة : بقجتى : بقجتك . بقجتها . البقجة . الحق . ياخرابى !!

يوسف : سأجن .

شفيقة : (صارخة) حرامى ! !

يوسف : اخرسى ! ستجمعين الناس .

شفيفة : حرامى!

صوت : (من الخارج) يا أهل الله . خلصونى بقى ! ياست ! ياصاحبة البقجة . ياصاحبة العرس .

شفيقة : (صارخة) أيوه .. هنا . افتح الشباك . هنا ياحرامى! ياحمال هنا . الحق ..

يوسف : آه ! فضحت . انتهى كل شئ ..

شفيقة : هنا ، الدور الثانى . اطلع . ذهب عقلى . نسيته فى الطريق .

يوسف : ذاع السر وفسد كل شىء .

شفيقة : لا ذاع ولا حاجة . البقجة . ثياب العرس . ثياب حبيبتى . يا حرامى . يا حمال . الدور الثانى .. آه . لا تغضب .. البقجة .

يوسف : (يهزها بشدة) ماذا فعلت ؟! فضحتنا ؟!

شفيقة : دعنى ! البقجة . .

يوسف : ماذا بها ؟

شفيقة : الملابس . ملابسها . ملابس لك . . ملابس العرس .

يوسف : فليلتهمها حريق ! تقودين رجلا غريباً هنا !

شفيقة : لا رجل ولا حاجة . ذا الحمال .

يوسف : حمـــال دلال يثرثر فى بيوت الناس . ينادى على ملابسى فى السوق .

شفيقة : يستحيل . ما شأنه ؟

يوسف : شيطان .. شيطان يحمل بقجة . ضعنا .. ألا تعرفين ماذا يفعل أبوها إن عرف ؟

شفيقة : تف من فمك . من أدراه ؟

يوسف : ويتوه منك فى السكة ، فيدور يطرق أبواب كل البيوت ، ويســـأل كل من قابله : أين عرس ابنة القاضى ؟

شفيقة : يا خرابى ! لم يفعل . لم يفعل .

يوسف : من بيت القاضى إلى هنا .. خطوة خطوة ورائك ، ووراء البقجة القاضى ، ومن خلفه صاحب الشرطة ، وخلفهم الوزير .. والخليفة نفسه .

شفيقة : يا خرابي ! دعنى أضلله .. سأقول له أنا العروس .

يوسف : آه ! (كالملدوغ) يا للسوقية ! كل شىء ابتذل .. مقرف .

شفيقة : حاشاك أن تقول ذلك يا سيدى .

يوسف : لا مفر .. استعدى لملاقاة المصير .

شفيقة : لا أكون شفيقة أن ما ضللته . لا عرس ولا حاجة. خلاص . مسافرين وخلاص .. أنت وجاريتك وخلاص . بس .. (الباب يفتح فجأة ، فتقفز فزعة) آه !

أبو الفضول : (يدخل ويحط خلف الباب بقجة كبيرة جدا ، ويتنهد في عمق) أين أنت ياست ؟ دوختيني . (متوسط العمر نحيف قصير . انفه متدلى بشكل ملحوظ . عيناه تتنقلان في فضول غريزى من حوله)

شفيقة : لا بأس . الحمد لله . نسيتك .

أبو الفضول : لا بأس .. لا بأس . أم العروسة.

يوسف : بدأنا .

شفيقة : لا عروسة ولا حاجة . ليس فى هذا البيت عروسة

ولا عرس ولا حاجة . لا تتكلم كثيراً . ادخل البقجة وأنت ساكت . خلك أنت ياسيدى .

أبو الفضول : الله ! ماذا فعلت لك لتهجمى على هكذا ؟ دخت وراءك. درت أطرق أبواب البيوت ، واسأل كل من صادفنى فى الطريق . . (يدخل البقجة ويتلفت حواليه)

يوسف : قلت لك .

شفيقة : يخيبك رجل ! عم كنت تسأل ؟

أبو الفضول : اسأل عن العرس ، الله ! غريبة ؟ !

شفيقة : ليس هنا عرس يا ضلالى . ألم أقل لك ؟

يوسف : ماذا قالوا لك ؟ أرشدوك عن بيتى ؟ هه ؟

أبو الفضول : الله ! الحكاية أيه ؟ (صارخا) ياست ، ألم أتوسل إليك مائة مرة أن تثقلى خطوتك . البقجة ثقيلة جدا .

شفيقة : أثقل أو لا أثقل . . ليس هنا عرس ولا حاجة . ما شأنك انت ؟

أبو الفضول : الله ! تريدين أن تهونى من حقى ؟ لا بد من مضاعفة الأجر : هنا عرس . اقسم بالله ثلاثا أن هنا عرس . أنا ولد صغير تضحكين على ؟ ! عيب .

يوسف : انظرى بعينيك . اسمعى بأذنيك .

شفيقة : خلك أنت . . دعه لى . لا عرس ولا حاجة . كلها ملابس قديمة . خذ . (تدفع اليه بدراهم من صدرها)

أبو الفضول : والله لا آخذ إلا ديناراً .. وفوقه الحلوان . هذا عرس أميرة . سراويل فتاة بكر . حناء وأدهان .. عطور وقمصان مزركشة وخرق نظيفة .. فطائر وقرص . الله ! أنا مغفل ؟

يوسف : أنا المغفل ..

شفيقة : فتشت البقجة يالئيم ؟

أبو الفضول : إهيه ! دخت وأنا دائر على كل البيوت لأجد من يستدل عليها ، وتجمعت حولى الصبية .

يوسف : وفرجتهم الملابس ؟

أبو الفضول : صنعت أكبر ضجيج . لكن لأوقظ أصحابها من سباتهم . أعمل أيه ؟ !

شفيقة : يا حرامى يا مجرم ! !

أبو الفضول : لأ لأ لأ . لا تقولى حرامى ، لم أسرق منك شيئا ، آه .

يوسف : وكل رجل وغلام تحسس الملابس ، ورأى صنفها وتساءل عن ثمنها . والذى أعجبته والذى لم تعجبه . والذى أغرق يديه فى الحرير وأطلق لخياله العنان ..

أبو الفضول : أعمل ايه ؟ الناس تحب أن ترى بعيونها .

يوسف : يا حضيض الابتذال !

شفيقة : يا خرابى ! أكنت تبيعها ؟

يوسف : فلتشنق جزاء وفاقا على ما دنست وماهتكت .

أبو الفضول : الله ! سيتهرب من دفع حقى . (صارخا) هذا عرس أميرة . والله لا آخذ أقل من دينار .

يوسف : أنا قلت لك تحضرى بهجة ؟ ! وأشياءها ؟ . . لتزنها الناس فى كفوفها وتلوث طهرها ؟ !

أبو الفضول : ما الخبر ؟ اليوم الجمعة والناس متوضئة . ما الذى يلوث الملابس ؟ !

يوسف : آه . .

شفيقة : لم أحضر غير اللازم ياسيدى . الحمد لله وصل كل شىء بسلام . أياك أن تكون ضيعت ابرة .

أبو الفضول : إهية ! سترمى بلاءها على هذه المرأة . لابد من دفع حقى .

يوسف : كفى ثرثرة . دعنى افكر . . (يذرع الغرفة بعصبية) .

أبو الفضول : ثرثرة ؟ ! ثرثرة من ؟ ! لقد فرهدنى الحر . الحق على . اسقنى كوب شربات ياست (يهم بالابريق) .

يوسف : (يختطف الابريق) دع الابريق . (لنفسه) والله أنت أحق به .

شفيقة : إلزم حدك ياخطاف . ليس هذا شربات .

أبو الفضول : ليس شربات ! يبدو عليه . .

شفيقة : شربات ولكن ليس لك . . (وتضحك ضحكة ذات معنى)

يوسف : (يدور فى الحجرة) ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل ؟

شفيقة : (تبحث فى البقجة) أين الأقراص المسكرة ؟ أهه . .

أبو الفضول : (وهو لا يحول نظره عن الإبريق) آه! به شيء . . (لشفيقة جانبا) والله ينفعنا نحن الاثنين فى خلوة .

شفيقة : (تضربه على صدره) خذ دراهمك وانصرف .

يوسف : (بصوت مبحوح) شيطان دخل بيتى . الجن والانس نهشت خلوتى وهتكت سرى .

أبو الفضول : البقجة ثقيلة جداً . ربنا يتمم بخير ياست .

شفيقة : خذ دراهمك وانصرف أحسن لك .

يوسف : ينصرف ؟! كيف دخلت ذهنك هذه الفكرة الشريرة؟ تعال هنا . اقترب منى . .

أبو الفضول : (مسرورا) سيكافئنى على أمانتى .

شفيقة : خذ دراهمك وانصرف احسن لك .

أبو الفضول : لا تقطعى رزقى ياست . . الله !

يوسف : أنت متأكد أن هنا عرس ؟

أبو الفضول : إلا متأكد .

شفيقة : يخيبك رجل .

يوسف : ألك رفاق فى السوق تحدثهم عندما تعود . . كم حملا شلت وكم أجرا أخذت ؟ فى البيت الفلانى عرس . زبونتى تاهت وكان فى بقجتها كذا وكيت . . هه ؟

أبو الفضول : (حذرا) نحن نتحدث بالطبع .

شفيقة : يخيبك لا تتحدث . لا تتحدث .

يوسف : وكل غريبة صادفتها . . وكل حادث وقع لك . . ما الذى استرعى انتباهك هنا فى بيتى ؟

أبو الفضول : (لا يزال حذرا) انتباهى ؟

شفيقة : لا تتكلم . لا تجب .

أبو الفضول : انتظرى ياست . السيد يحدثنى . . لا تقطعى رزقى. الذى أثار انتباهى أن البيت ليس فيه زينات ولا شيل وحط . البيت نظيف ، نعم . . ولكن فى الأمر شىء . .

يوسف : أتستطيع أن تخمن هذا الشىء ؟

شفيقة : لا تخمن . لا تخمن .

أبو الفضول : الله ! انتظرى ياست آمال . . أخمن . . آه (يدور بعينيه حائرا ومفكرا) أنت فى مأزق ياسيدى .

يوسف : من أى نوع ؟

أبو الفضول : زواج سرى .

يوسف : (هائجا) أرأيتِ !! لن تخرج من هنا حيا .

أبو الفضول : (مذعورا) الله ! سيدى !

يوسف : لن تخرج من هنا حيا . لقد فتشت كل شىء، وفكرت طويلا . لن تخرج من هنا حيا (يمسك بخناقه) .

شفيقة : ياخرابى ! دعه ياسيدى . ستلم الناس .
أبو الفضول : يانهار أسود ! أين وقفت ؟
يوسف : سأذبحك .
أبو الفضول : الرحمة . ماذا جنيت !
شفيقة : دعه يا يوسف . فى يوم عرسك . .
أبو الفضول : عرس ! أهه ياسيدى . أنا لم اتجن . . هنا عرس
يوسف : (وقد تمكن منه تماما) ستخرج من هنا إلى السوق . . ه ؟ يسألك زملاؤك أين كنت . . كنت أحمل ثياب العروس . . من هى العروس ؟ آه . هما فى مأزق . . ما هو ؟ من العريس ؟ ما شكله ؟ عنوان البيت ؟ الجارية قادمة من حى دجلة إلى ما وراء المسجد . . من بيت من ؟ ومن هنا لهنا بغداد كلها تلوك حكايتى . لن تخرج من هنا حيا .
شفيقة : (تتعلق بهما) لا تقتله ياسيدى .
أبو الفضول : بحق جاه النبى لن أتكلم . ولا كلمة .
شفيقة : لا تقتله . فأل سئ .
يوسف : أنت تستحقين القتل مثله .
شفيقه : (تقفز مرتاعة) يا خرابى !
أبو الفضول : أقطع لسانى ولا تقتلنى . .
شفيقة : أقطع لسانه يا يوسف . أقطع لسانه . .

أبو الفضول : اتق الله ياست وقولى كلمة فى صنى .. اقطع لسانه إيه ؟!

يوسف : أقطع لسانك أفضل . السكين فى المطبخ . لا . لا تذهبى أنت .. (حائرا)

أبو الفضول : احبسنى عندك إلى الأبد .. لا أخرج من بيتك حيا، ولا تقطع لسانى .

شفيقة : أحبسه يا يوسف ، لا تلطخ يدك بدمه، يوم عرسك . أحبسه طول حياته .

أبو الفضول : اتق الله ياست وقولى كلمة فى صنى .. إحبسه إيه ! أين وقعت !!

يوسف : احبسك . هذا أفضل .. إذا كنت جنا فسأصنع بك ما صنع سليمان . ستقضى دهرا فى هذا الدولاب (يجرجره ويفتح الدولاب ثم يغلقه) لا . فى هذا الصندوق . ان كان لك حظ سيأتى من يخلصك من حبسك ، وإلا فستموت اختناقا .

شفيقة : احبسه يا يوسف وسافر انت . . لا تحمل هما .

أبو الفضول : (يقفز) ستسافر ؟ !

يوسف : أبدأ من جديد ، تطلع بعينيك كاللص ، ووسع أذنيك جيدا ، واحشر أنفك ، وألق علينا الأسئلة ..

شفيقة : احبسه يا يوسف جزاء فضوله

يوسف : (فاتحا الصندوق دافعا الحمال داخله) وانت .. غادري بيتي من فورك . أصحبي سيدتك إلى هنا ولا تخطئ .
اياك أن تخطئ . (الحمال يدخل الصندوق مستسلما)
شفيقة : أرسل لك حلاقا يا يوسف ؟
يوسف : اياك أن ترسلي أحدا . كفاك .. أخرجي .
(تخرج فزعة)
أبو الفضول : (يطل برأسه لحظة سماعه كلمة حلاق) يلزمك حلاق ياسيدي ؟
يوسف : ادخل .
أبو الفضول : أنا حلاق ياسيدي .
يوسف : لا أريد أدخل .
أبو الفضول : لا يصح أن تلقى صبيتك وذقنك خضراء خشنة ..
يوسف : أطع .
أبو الفضول : ما يضيرك ؟ وسواء كان عرسا أم غيره ، لابد من حلاق .. ذقنك كالفرشاة . أصفف لك شعرك في دقيقتين .. حلاق درجة أولى ، خفيف اليد قليل الكلام .. وأعود للصندوق .
يوسف : (يغلق عليه الصندوق ويحكم الرتاج . يسرع الى الشباك وينصت بعض الوقت ثم يرتد عصبيا . لا يزال محنقا . ويتجه الى المرآة) أخيرا ستجئ . ياحبيبتي ، حياتي

وموتى ، ماأعظم فرحى بك وأسفى عليك . كل شئ
قد هدأ . ماأعذب الموت . يا هيكل الطين . بعد قليل
تتداعى . ماضرنى لو كانت ذقنى خشنة ! حمال فضولى .
نصف ساعة وينتهى كل شئ .. تراه يثرثر لو أخرجته .
اخشى أن يكشف سرى . كشف أكثره للوهلة الأولى .
لماذا يلح على كل من يرانى أن أحلق ذقنى ؟ أووه ! !
(يفتح الصندوق ويرفع غطاءه) كيف أنت حلاق يارجل ؟

أبو الفضول : (يطل فرحا) حلاق أمال .. ومعى العدة .

يوسف : تعرف تحلق ؟

أبو الفضول : أعرف ؟ ! إلا عرف ! . . أبو الفضول الحلاق ياسيدى .

يوسف : من ؟

أبو الفضول : أنا .

يوسف : سبحان الذى ألهم أباك أن يسميك . أرنى العدة .

أبو الفضول : (يقفز خارج الصندوق ويخرج من ملابسه لفائف قماش ويرمى أشياء على الأرض) .. تفضل ياسيدى . أجلس هنا . الطشت . أين الماء ؟ (يلتقط الابريق فوق الطشت ويهم بالبحث عن الماء)

يوسف : قف . تعال .. أتظن أنك ستتجول فى البيت على كيفك ؟

أبو الفضول : لا أقصد ياسيدى . خذ . تجول أنت : املألنا الماء .

يوسف : (حائر وبيده الابريق) إياك أن تلمس شيئا . سامع !

أبو الفضول : حاشاك أن تظن ذلك يا سيدى .

يوسف : سأغلق الباب بالمفتاح . إياك أن تحاول الفرار .

(يغلق الباب ويخرج)

أبو الفضول : أنا ؟ ! لم تفهمنى بعد .. أنا خدامك (وحده يتطلع حوله منتبها جداً ومتوترا) .. كأسان وأبريق .. شراب مسكر .. على الطلاق أنه خمر . وبه شئ تقول الست . عارفه .. عرس ودخلة وشئ لزوم المتعة . ستفرح بذلك زوجتى . أشربه ؟ لا .. سيشم رائحة فمى وتبقى واقعة . ما يضيره لو أخذتها كلها .. هو شاب أما أنا فكهنة .. (يشم الابريق) الله ! لا .. لن يشعر بسرقتى أبدا . اسكبه فى قارورة العطر (يتلقط القارورة) وأين أضع العطر ؟ عطر أيه يا أبا الفضول ، أنت تصدق ؟ ده كلام للزباين بس ! هأو .. قال عطر قال ! (يسكبه على الأرض) أضع بدله ماء ملونا . ألونه أنا .. عندى صبغة الشعر . قليل جدا فوق الماء . (يسرق الشراب فى قارورته ويخبئها فى كيسه ثم يشرع فورا فى مزج قليل من صبغة الشعر فى الابريق) هيلا هيلا هيلا لم لم .

يوسف : (يدخل ويتطلع حوله مستريباً) ماذا تفعل ؟

أبو الفضول : آه.. أرغي الصابون .

يوسف : خذ (يدفع إليه ابريق الماء)

أبو الفضول : لماذا تتعب نفسك يا سيدى . أنا خدامك . اجلس . أين تضع .. (يفتح الدولاب)

يوسف : قف .. تسرق ؟

أبو الفضول : أسرق ؟ ! عيب يا سيد . ابحث عن فوطة .

يوسف : لا تبحث عن شيء . اطلب ما تريد .

أبو الفضول : لماذا تتعب نفسك ؟

يوسف : سأجيئك بفوطة (يخرج إلى الغرفة الداخلية ، وفى اعقابه الحلاق)

أبو الفضول : (يشهق) يادى السرير ! !

يوسف : مكانك ! اسمع يا حلاق . أنا رجل عصبى المزاج فلا تستفزنى . عد مكانك . إياك أن تبارح مكانك .

أبو الفضول : الله ! أفزعتنى يا سيد .. فال الله ولا فالك ياشيخ . . يصعب على تعبك .

يوسف : إياك أن تبارح مكانك .

أبو الفضول : لن أبرح . تفضل (يخرج يوسف) الفراش فراش غرام ، والملابس متسقة فى الدولاب ، وصندوق

الأمتعة فارغ كقلب الخلى . والله ولا سفر ولا غيره .
هنا يا أبا الفضول سترى بعينيك وتسمع بأذنيك كل
شيء . إن لم يكن زواجا سرياً فهو وصال عاشقين
سخنين جداً . ورطة فظيعة وقع فيها الولد . .

يوسف : (يدخل) هذه الفوطة . ماذا تريد بعد ؟

أبو الفضول : لا شيء . حزام لأسنّ الموسى .

يوسف : أووه ! حزام لأسن الموسى (يخرج ثانية)

أبو الفضول : (فى غاية السرور) ماء ، وصبغة . حناء تنفع .
(يخلط الماء مع الصبغة فى الابريق ويرجه) عليها ماء .
وينتهى كل شيء . يلزمه بعض السكر . طظ !!
والله لو شربا علقما لوجداه حلواً . الولد فى مأزق . .
والله ينوبك ثواب يا أبا الفضول لو أنقذته . .

يوسف : (داخلا فجأة) هذا الحزام . ماذا تفعل عندك ؟

أبو الفضول : (لايهتز) الله ! أرغى الصّابون . تفضل اجلس .

يوسف : (يجلسه الحلاق فى مواجهة المرآة) أعرف إنك لا بد
أن تكون فضولياً . أنت حلاق . . هذه مهنتك .
ولكن لا تستفزنى . أنا أبغض الفضول .

أبو الفضول : وأنا ياسيدى . لشد ما أبغض الفضول ، فوالله
ماخرب بيتى غيره . أقص شعرك ؟

يوسف : اطرافه فقط ، إذا كنت تستطيع أن تفعل ذلك بسرعة .

أبو الضول : زيت القرنفل ؟

يوسف : لاداعى .

أبو الفضول : أفرقه ؟

يوسف : لا بأس . عجل .

أبو الفضول : والذقن ؟

يوسف : احلقها .

أبو الفضول : فتلة ؟

يوسف : لا .

أبو الفضول : والشارب ؟

يوسف : دعه لحاله .

أبو الفضول : أحففه قليلا ؟

يوسف : لا تذهب صبرى .

أبو الفضول : صبراً .. صبراً .. لا أريد أن أغضبك .

يوسف : افعل ما تراه ولا تلح على بالأسئلة .

أبو الفضول : الشارب لو حففته أحسن .

يوسف : لا تحففه . اخلص . اشتغل .

أبو الفضول : أريد أن اشتغل على نور حتى لا أغضبك .

يوسف : لا تسألنى فى شىء . اسكت .

أبو الفضول : الأمر يعتمد على المناسبة يا سيد . هذا سؤال لزوم إحكام الصنعة . آه .. فالحلاقة زن . إن كنت ذاهباً لملاقاة أمير أو وزير ، أو كنت على موعد مع غانية سمينة لهوب ، أو كنت مقبلا على جلسة تجار لتعقد صفقة . . أنفش لك شاربك . إما أن كنت على موعد مع صبية رقيقة .. أحففه لك .

يوسف : بمعنى آخر تريدنى أن أطلعك بنفسى أين أنا ذاهب .

أبو الفضول : أنا ؟ ! حاشاى أن أكون فكرت فى ذلك . بالله لا تسلط ذكاءك على . لست قدك . ما شأنى أنا . . عرس أو لا عرس .. سفر أو لا سفر .. أصدقك النصيحة ، نعم . . لو سألتنى . إما إذا لم تسألنى ، فلاشأن لى بك . عرس أو لا عرس .. ما شأنى أنا !!

(يتضح من شغله ان يده ثقيلة ولسانه خفيف)

يوسف : هذا خير لك . لا تتدخل فيما لا يعنيك .

أبو الفضول : عين الحكمة . فتى فى مطلع العمر ، ولكن الله يكملك بعقلك يا سى يوسف .

يوسف : (يسترخى . الحلاق يدلك له رأسه بيدين خبيرتين) عرفت اسمى ؟

أبو الفضول : عاشت الأسامى . اسم رقيق وجميل ، تحبه البنات . سنك ؟

يوسف : ما شأنك !

أبو الفضول : سن العشق والهيام . فتى وسيم نحيل من العواطف الجامحة ، والوجد المشبوب ..

يوسف : لا تسترسل .

أبو الفضول : يقول المثل : إن كنت في الموصل ، افعل ما يفعله الموصليون . معناه : إن كنت مسافراً الشام ، ابرم لك شاربيك . إما أن كنت قاصداً البصرة ..

يوسف : اسمع ياخبيث. لاتتعقبني . لا تلح في تعقبي وإلا نفد صبري . أبغض شيء عندي الفضول .

أبو الفضول : قاتل الله الفضول ، صنعةالنساء. عندي ، إذا أذنت لي في الكلام ، رجل صاحبي شيخ قافلة ، إذا كنت لا تأتمن أباك إإمن له ..

يوسف : لا أريده .

أبو الفضول : لا ، لاتستهن بالسفر ، الطريق محفوف بالخطر ، والحوادث تقع كل يوم . بدو متوحشـــون في الصحراء .. ذئاب جائعة .. سفاحون في ثياب ادلاء ! الروح حلوة .

يوسف : لست مسافراً. وفر جهدك .

أبو الفضول : الله ! مسافر .. لاتسافر .. صارحني ياسيديوسف ، أنا خدامك ، أخدمك . رجل محنك .. خمسون

سنة ألطش فى هـذا العالم . اسألنى . اسألنى اسأل ،
اسألنى أنا .. ما يخفيك ؟ لن أنزل من هنا حياً .

يوسف : لا تثرثر ، حفف الشارب وعجل .

أبو الفضول : (جانبا) صبية والله ! عرس ولا عرس . سفر بلا متاع . خطف ! سيختطف البنت . صبى وصبية صغيران وفضيحة كبيرة تروح فيها أرواح . يادى الداهية !!

يوسف : بماذا تهمهم هناك ؟ خلصنى .

أبو الفضول : سترى جمالك بعد أن تحلق ياسيدى . (متأثرا جداً) سترى بهاء صباك . سترى نور وجهك الحسن المستدير ، آه ! الصبا ! الصبا الذى يدفع صاحبه إلى التهلكة .

يوسف : انتبه لعملك .

أبو الفضول : (متأثرا) ياضيعة شبابك يا سيدى !

يوسف : ماذا تقول ؟

أبو الفضول : لا تطع هوى النفس . لا تستسلم لجماح القلب . قل لروحك : رويدك يا نفس لا تهلكينى .

يوسف : جاوزت حدك ! ويلك !

أبو الفضول : (مبالغا فى التأثر) ليتنى لم أستيقظ هذا الصباح . ليتنى لم أصادف جارية السوء فى أول الميدان . ليتنى لم أخاطبها ولا اتفقت معها على الأجر . ليتنى ضعت بالبقجة فى الأزقة لم أعثر لصاحبتها على أثر ..

يوسف : اسكت ، قلت لك .

أبو الفضول : (يكاد يبكى) ليتنى ما درت فى المدينة ولا زعقت : ياست ، يا صاحبة البقجة .. فإن حلقى يغص وقلبى ينقبض من اجلك يا بنى .

يوسف : اخرس وإلا ادخلتك فى الصندوق من فورك .

أبو الفضول : شبح يوسف .. مجندلا فى بستان الوزير .

يوسف : (مضطربا) يوسف من ؟ وزير من ؟

أبو الفضول : يوسف منصور الذى أحب ميمونة جارية القاضى .

يوسف : (منتبها جدا) من ؟

أبو الفضول : أهه . ألم أقل لك . تريث .. تمهل .. كلمة من هنا وكلمة من هنا تتروى . بغداد مدينة حلوة ، ولكنك لا تعرفها .

يوسف : أراجيف السوقة .

أبو الفضول : (يجاهد ليتمكن من يوسف) اسأل كل رجل فى بغداد . أراجيف ايه ؟ ! أأنا بياع أراجيف ! ! والله قصة لا أحب حكايتها .. ولكن أقصها لما فيها من عظة وعبرة ، لمن كان مثلك فتى صغيراً غريباً .. اتفق يوسف من حبيبته على اللقاء فى بستان الوزير خارج بغداد ، ورشا البستانى . ولكن حدث فجأة أن نزل الوزير يتنزه فى البستان فلعب الفأر فى عب البستانى ..

يوسف : وزير الخلافة ؟

أبو الفضول : هو . خشى البستانى أن يقع الوزير عليهما صدفة ، أوأن يكون الأمر قد تسرب إليه فجاء يضبط الواقعة بنفسه .. القصد . استولى عليه الخوف ، فقال لنفسه : روحاهما فداء لروحى . فما أن اقترب الوزير من خلوتهما حتى صرخ البستانى : الحقونى ! الحقونى ! الزانى ! الزانية ! فتطلع الوزير إلى العاشقين. وكانت ميمونة عارية فى وقدة الشمس تلمع على ثدييها حبات العرق ، فأثارت الوزير. رجل شهوانى ..

يوسف : (مفتوح العينين) قذر !

أبو الفضول : جرجرها إلى خميلة بمساعدة البستانى وهى تصرخ وتقول : « رحماك ياسيدى .. أنا جارية القاضى » . فما نفع صياح ولا نفع اسم القاضى ولا أى شىء .. وخاف الوزير بعدها أن تفتضح فعلته ويغضب القاضى ، فقتلهما الاثنين ، وزعم أنهما هاجماه فى البستان وأفزعاه .. قال !

يوسف : يا للاجرام !

أبو الفضول : ارحم شبابك ياسيدى.

يوسف : أيعرف القاضى حقيقة القصة ؟

أبو الفضول : يعرف . وسيزوجه أبنته أيضا .

يوسف : ابنته ؟

أبو الفضول : ياسمينة . أنهم يكتمون الأمر ، ولكن البلد كلها تعرف . إمسك . (يقدم له طرف الحزام ويسن الموسى)

يوسف : (تائها) وغد حقير .

أبو الفضول : (فزعا) أنا يا سيدى ؟

يوسف : أنت وكلكم . الناس . الحياة مريرة . العصر مذنب . .

أبو الفضول : (جانبا) أثرت فزعه . أحسن . لا بد من أنقاذه .. من هى ؟ من يا ترى ؟ (ليوسف) الله الله الله . خير ايه ؟ ! .. عصر جميل . بناته أجمل . .

يوسف : رجل مثلك لا شهوة له إلا مضغ سير الناس لا يرى أكمل من عصر عامر بالفضائح .

أبو الفضول : كل بيت يغص بالأبكار الناعمات ، ورجل فى شبابك ووسامتك ..

يوسف : الكلاب تعض قلوب الشباب ، والفضوليون من أمثالك لا يعدمون لذة استنشاق أبخرة الجثث التى جندلها الوزير .

أبو الفضول : (لنفسه) الله الله . . كدنا نصل . الحكاية تتكرر . . (ليوسف) إذا كنت تريد أن تعشق فغادر بغداد فورا . لا تمثل أبدا أمام قاضيها متهما . القاضى رجل

شديد البطش . أف منه ! لا يرعى شبابك أو هوى قلبك ..

يوسف : أنا أعرف بالقاضى أنا .. ولا أهاب أحدا .

أبو الفضول : (جانبا) له شأن مع القاضى . يحبه أم يكرهه ؟ أخاف أن أغضبه . سنرى .. (ليوسف) على أية حال ، عفا الله عنه . قاس بعض الشئ ، ولكنه معروف بالعدل .

يوسف : (بحنق) أنا أعرف بالقاضى أنا . .

أبو الفضول : (جانبا) يكرهه ! (ليوسف) آه ، يا للرجل ، يا للرجل ! رجل ؟ ! بل هو زمبيل محشو بالظلم والبطش والرشوة والفساد . سلسالة عفن . .

يوسف : أخرس . لا تزد !

أبو الفضول : (حائرا) إه ! هذا ما يقوله الناس . أما أنا فأعرف عنه العدل . .

يوسف : العدل لا .

أبو الفضول : فى توزيع الظلم .

يوسف : ولا هذه .

أبو الفضول : سمين كبقجة الشرور . وصولى . قذر . دنئ . لحاس أعتاب الحكام والوزراء ..

يوسف : هو ذاك .

أبو الفضول : لص . غادر . كافر . فاسد الخلق ، أبا جد . .

يوسف : لا تجاوز حدك .

أبو الفضول : (يلوح بذراعيه) حيرتنى ياسيدى . هذا رجل خرب بيتى . أى حد أراعيه معه ؟

يوسف : أن ذهبت له بقدميك فذنبك على جنبك .

أبو الفضول : بل هو الذى جاءنى بقدميه . كانت لى دكانة حلاق فى السوق . وذات يوم كنت واقفا بدكانتى لا بى ولا على ، فاذا رجل سمين جدا جدا — يدخل على . قلت لنفسى : هذا إما قاضى بغداد الجديد القادم من الكوفة ، أو هو شبندر تجار البصرة القادم لشراء جوارى الجركس من سوق الثلاثاء ، كما سمعنا . يا ترى ! يا هلترا ؟

يوسف : شهاب الدين وأخوه .

أبو الفضول : شرفتنا ياسيدى ! نورت بغداد ياسيدى ! السعد جاءنا ياسيدى . . إنه ينطق . ولا كلمة . اغتظت منه جدا . .

يوسف : ارشه تعرفه .

أبو الفضول : . . نزلت عليه بالموسى جرحته . .

يوسف : إه !

أبو الفضول : خدش بسيطة ، ولكنه كاف ليحس بدمه يسيل .

يوسف : جرح كبير ؟

أبو الفضول : لا كبير ولا صغير . جرح بالحجم المطلوب بالضبط .. يد محسوبك موزونة .

يوسف : أكان دمه أسود ؟

أبو الفضول : غامق قليلا .

يوسف : (يستخفه الطرب) كيف تفرق بين دم قاض ظالم ودم تاجر فاسد ؟

أبو الفضول : المهنة ياسيدى ! التاجر الكنود إذا أحس بدمه يسيل يضع أصبعه على الجرح لا يرفعه إلا إذا جفته بالصبغة الكاوية ، ولا يشتمنى قبلها أبدا . أما القاضى الذى جبل على البطش فهو يمسح الجرح بيده ليملأ ناظريه بلون الدم فوق أصابعه ، فيستشيط ويهتاج وتلهب دماغة حمية الاعتداء .

يوسف : وقعت فى القاضى . مرحى ! ضربك ؟

أبو الفضول : ضربنى ! خرب بيتى والله . ضرب وشرطة وسجن ومحاكمة . وفى الآخر لم يكتف بهذا فحرمنى رخصتى أيضاً . قال أيه . . أنا غير أمين على أعناق الزبائن . وأنت ؟ ألأنت أمين على أعناق المتهمين ؟ وهكذا

صرت حمالا حلاقا جوالا ولا حول ولا قـــوة إلا بالله .

يوسف : (يضحك) جزاء وفاقا .

أبو الفضول : (متخابثا) تضحك ياسيدى من مصائب الناس ؟

يوسف : لا عليك .

أبو الفضول : (مسترسلا فى اصطناع التأثر) لست باكيا على نفسى ، وإنما على العيال .

يوسف : رزقهم على الله .

أبو الفضول : (متأثرا حدا) أنت لا تعرف هم الأب . . ألك أب؟

يوسف : نعم . لى أب .

أبو الفضول : يحبك ؟

يوسف : أنا وحيده .

أبو الفضول : سيبكى بكاء مرا ، حتى يفقد البصر . سيلطم وجهه حتى يهون على الناس ، فتسخر منه . .

يوسف : كفى ! انتبه لعملك . أعوذ بالله . لماذا يبكى أبى ؟

أبو الفضول : (متشاغلا عنه) إذا مت .

يوسف : أجبنى . ما الذى أدراك إنى أموت ؟ تكلم .

أبو الفضول : أرغى الصابون ياسيدى .

يوسف : سحقا للصابون . تكلم .

أبو الفضول : (يملأ وجهه صابونا) رفقا بشبابك يايوسف. لاتخاطر.
اسألنى أنا . . أنت غريب . اسألنى أنا . ستضيع
روحك لو علم سيدها . سيعلم . أى شىء يخفى فى
البلد كلها ؟ دعك من المخاطر ياسيدى . لا تضيع
شبابك . لا تهدر صباك . .

يوسف : (وجهه فى الصابون) انتبه لعملك .

أبو الفضول : أنتبه أنت ، فالموت فى طريقك . اسمع نصيحتى .
أوقف هذا اللقاء . أطردها . ما اسمها ؟ ما شكلها ؟
كيف تحبها ؟

يوسف : جاوزت حدك .

أبو الفضول : الله سيدى . . أنت صغير السن . هذا ليس
حبا . نزوة طائشة . الحذار ! أنت غريب فى بغداد .
الحذار !

يوسف : (يقف) اخرس وإلا .

أبو الفضول : سرك فى بئر يا سيدى . استنصحنى انصحك. لاتخف
منى. يقتلونك (جانبا) كيف أقنعه . أصرخ ؟

يوسف : لا شأن لك .

أبو الفضول : (يصرخ) كل الشأن ، الله ! بنات الناس يا رجل ؟
اتق الله !

يوسف : ويلك ، اخفض صوتك .

أبو الفضول : سأصرخ . بنات الناس يا رجل ! حرام عليك .

يوسف : سأقطع لسانك .

أبو الفضول : اقطع ! بنات الناس ! أهى زوجته ؟ ابنته ؟ جاريته ؟ اخته ؟ أيهن ؟

يوسف : زوجة من ؟ ابنة من ؟

أبو الفضول : سرك فى بئر ياشيخ. استنصحنى أنصحك . أناعارف. أمال أيه ! أنا عبيط ؟ القاضى طبعا .

يوسف : جاسوس .

أبو الفضول : (جانبا) هو . هو . قاربنا النهاية (ليوسف) حرام عليك شبابك . بنات الناس . الله ! هى سايبه ؟!

يوسف : اقسم أنك تعرف أكثر مما ينبغى . جاسوس دسه أعدائى على ، لم يعد ينفع معك حبس أو قطع لسان . اقسم انك تستطيع أن تروى القصـــص بيديك وعينيك كما يفعل الخرس . لا بد من ذبحك (يخطتف موساه) .

أبو الفضول : موسى ، بموسى .

يوسف : لا تصرخ .

أبو الفضول : لا تقتلنى ، سأنفعك .

يوسف : هذا الموسى سيقيني شرك .

أبو الفضول : اؤمن لك الطريق وأنت خارج بمحبوبتك ، ناضرجي .

يوسف : لن أبرح هذا البيت .

أبو الفضول : ألم أقل لك ؟ ! ألم أقل لك ؟ ! لست مسافرا , أهه !

يوسف : اخفض صوتك ! اخفض صوتك ! آه ، لا أطيق أن اذبحك. ضربة واحدة لا تحتاج لشجاعة كبيرة ..

أبو الفضول : عندى سبعة عيال ياسيدى . الرحمة !

يوسف : تعرف أكثر مما أطيق . إذا لم تعترف لى بكل شىء لن ارحمك .

أبو الفضول : سأعترف .

يوسف : ماذا تعرف عنى . تكلم ؟

أبو الفضول : أنت ستخطف بنتا .

يوسف : من هى ؟

أبو الفضول : لا أعرف بالضبط .. من بيت القاضى .

يوسف : أين سأذهب بها ؟

أبو الفضول : الفردوس . ياوعدى !

يوسف : تعرف كل شىء ! ويلى منك . أى حماقة جعلتنى أدخلك بيتى . اعترف حالا ، من أرسلك فى طريقى .

أبو الفضول : الله أرسلنى لأنقذ حياتك .

يوسف : تكذب .
أبو الفضول : اقسم إنى رسول العناية الالهية .
يوسف : ما الذى يغريك ؟ ما الذى يلهبك لمعرفة أحوالى ؟
أبو الفضول : الطبع ياسيدى ! لا شىء غير الطبع !
يوسف : لا أكاد أصدق.
أبو الفضول : (مذعورا بحق والموسى على عنقه) شىء فى قلبى يأ كلنى حتى أعرف. لا أهدأ حتى أعرف.
يوسف : لوثة وجنون
أبو الفضول : أعرف لأنصحك يا سيدى .
يوسف : سعار! سعار كسعار الكلاب الهائمة الهائجة ، لا راد لها إلا القتل . لو كنت حاكما فى هذا البلد لأمرت بإعدام جميع الفضوليين . يا إلهى ! أتمنى ألا أرتكب حماقة فى اللحظة الأخيرة . هيا ادخل الصندوق إن كنت تحرص على الحياة.
أبو الفضول : يستحيل يا سيدى .
يوسف : أطع .
أبو الفضول : ذقنك نصفها لم يحلق بعد.
يوسف : أدخل .
أبو الفضول : شكلها قبيح .

يوسف : لا تجعلنى أقتلك .

أبو الفضول : أغسل لك وجهك .

يوسف : اجمع هذه القاذورات حالا .

أبو الفضول : دقيقة واحدة . القارورة يا إلهى ! طيب خلاص ـ دخلت .. (يطل برأسه من الصندوق) أخ .. لم تغير ملابسك .

يوسف : صبراً يا إلهى ! (يغلق الصندوق)

أبو الفضول : (من الداخل) وماله عصبى ! انظر فى المرآة.

يوسف : (يحكم إغلاق الصندوق بالسيخ ثم يتطلع المرآة) المجرم. شوهنى.لم يبق إلا دقيقةويطرق بابى ،ثم أحيا وأموت. فى طرفة عين . . دقيقة واحدة ثم .. العرس والموت. وشكلى مع هذا يثير السخرية . لا أطيق أن أغلق. عينى على صورتها وهى تضحك منى .لله ما أضعفنى. (يفتح الصندوق بسرعة) أخرج . فى لمحة الطرف.. خلص شغلك . (يبدأ الحلاق فورا ، يذر عدته ويعمل وهو يصطنع سرعة أكبر من حقيقة العمل الذى يقوم به)

يوسف : أسرع ، أرنى المرآة ، ما أثقلك .

أبو الفضول : ها أنا مسرع ياسيدى . أبو الفضول ياعترة ، خفيف. اليد قليل الكلام . إلا أن ملابسك غير مناسبة .

إذا كان عندك قميص خفيف وحزام ملون (جانبا).
لا بد أن أن أحبسه . ماذا أفعل ؟

يوسف : أف ! تلح تلح تلح ، أنت وشفيقة ، ما الحكاية ؟
شكلى مضحك !

أبو الفضول : طأطئ رأسك أغسلها لك ، هوب . لا تخف.
(يغرفه ماء)

يوسف : أغرقتنى .

أبو الفضول : لا تؤاخذنى . بركة . بدل ملابسك ، فرصة ! اخلع
لا تخف ، قبل فوات الوقت. لحظة واحدة وتصبح
فتى بغداد الوسيم ، هات ، هات !

يوسف : عريتنى.

أبو الفضول : ملابسك الداخلية أيضاً ، رائحتها عرق . لا يغلبك
الحياء . الله . الله . نحن رجال . الساتر هنا . خلف
الساتر . (عراه تماما ودفع به خلف الساتر).
لا عليك ، دقيقة واحدة . أنا محسوبك . كما تحب .
فى البقجة.. أنا عارف الدولاب . (فى هذه الأثناء
يمرح الحلاق فى البيت كما يشاء ، ويوسف عاريا خلف
الساتر يقدم رجلا ويؤخر أخرى خجلا من عريه . يبدو
أن الحلاق يبعثر كل شىء فى البيت ، وكأنما انتابته نوبة
عبث صبيانية وهو طول الوقت يحتج بالبحث عن ملابس

ملائمة ، كأنما لا يجد شيئا مناسبا أبدا فيردد من حين لآخر « ولا هـــذه » .. « شـكلهـا رذيل » .. « لونهـا سخام » ... الخ) .

يوسف : (بصوت معذب) الغياث ! الغياث ! إسرع ، أتوسل إليك . شيطان وقع فى بيتى وأسرنى . ياوغد ! ماذا تفعل ؟ يا لص ! يا كافر ! (يغلب حياؤه فيقدم على الخروج ثم يرتد مغلوبا على أمره) آه ...

أبو الفضول : (فى خلال المرج الذى يصنعه يضع السيخ فى حلقة الحديد بالصندوق ويكسرها فيستحيل بعدها إغلاقه) لا تيأس يا سيدى . سأنتقى لك أحسن ما تحب البنات . . هذا يوم عيدك . يوم اللقاء ، يوم السرور ، يوم الوصال . . ترر رم رم رم .. لا لا لا للم لم .. (يندفع الى غرفة النوم)

يوسف : لا تلوث السرير . لا تدنس كل شىء . يا إلهى !

أبو الفضول : لا تيأس يا سيدى . سأجد لك أحسن ما تحب . آه هذا ما نريد . أووه ، يادى الواقعة (يدخل) ياسمينة ! (يلوح بورقة لعلها خطاب غرام أو قصيدة شعر) ياسمينة ! بنت القاضى ! خطيبة الوزير ! هلكت ياسيدى . ضاع شبابك (يلطم وجهه ورأسه) هذا ما كنت أخشاه . . ضعنا كلنا ، متنا . وا أسفاه على الحياة . رحنا وراحت ارواحنا ، آه !

يوسف : عرفت كل شيء ! عرف كل شيء .

(طرق على الباب يستمر .. يندفع الحلاق إليه ثم يعود).

أبو الفضول : المفتاح !

يوسف : فى الملابس التى خلعتها ، افتح ، اسرع .

ابو الفضول : باب الموت يا يوسف . صعب على أن افتح الباب. هلا كلك .

يوسف : افتح وإلا هلكت أنت .

أبو الفضول : ترى كيف شكلها التى أدارت رؤوس بغداد ؟ كيف تحبه هـــذا الغريب ؟ (يفتح الباب ويتطلع بشغف). ما رائحة غلالتها ؟ ما رنة صوتها ؟ (لحظه سكون)

يوسف : ياسمينة !

أبو الفضول : أنت عدت ياست ؟ مرحى بك ، تفضلى . لاتخافى .

(تدخل شفيقة وهى تجذب ياسمينة خلفها . ياسمينة مترددة وخائفة)

شفيقة : لا تخافى ياحبيبتى . سنرى من يكون ، من ؟ أنت؟! يا واقعتك يادى الرجل ! انت ؟ !أين سيدك؟أرنى .

(تتقدم ياسمينة وترفع نقابها فيشهق الحلاق)

أبو الفضول : يانور النبى !

شفيقة : لا تخافى يا حبيبتى. كفك باردة . أرنى أين هو !
يوسف : (من وراء الساتر) احم ! احم !
أبو الفضول : أهه ! (مشيرا للساتر)
شفيقة : (تنظر وترتد) يا خرابى ! ماذا فعلت بسيدك ؟
ياسمينة : (تبكى من فورها) ماذا جرى له يادادة؟ أصابه سوء؟
شفيقة : والله لا أتركك حياً يا مجرم .
أبو الفضول : خبر إيه يا ست ؟ مالك ؟
ياسمينة : أصابه سوء؟ سمعت حشرجة . (تحاول التطلع. يوسف ينكمش متراجعا)
شفيقة : لا لا لا . . لا تنظرى يا ضناى .
ياسمينة : لماذا لا أنظر يا داده ؟ أهو مذبوح ؟
شفيقة : تفى من فمك يابنتى، كفى الله الشر. لا تنظرى وخلاص.. هكذا تفعل بسيدك يا عديم الشرف .
أبو الفضول : الله !
يوسف : (محنقا من خلف الساتر) آه.
ياسمينة : صوته . دعينى أنظر ماذا فعل بحبيبى ؟
شفيقة : واخجلتاه يا ضناى ؟ ماذا أقول لك . لا تنظرى..
أبو الفضول : الله . ماذا فعلت ؟ خلها تنظر ياست ، الرجل عندك صاغ سليم .
شفيقة : (صارخة) عارياً ؟ !

ياسمينة : ياني ! وعرّاه ؟

أبو الفضول : عراه إيه ياست ؟ ماتنطق يا يوسف. قل لهما إنك حى.

شفيقة : (تلتقط قطع الملابس من فوق الأرض) خد ياسيدى، خذ ياضناى، ألبس يا حبيبى.

أبو الفضول : (مذعورا قليلا) خلاص ، لا أريد منكم شيئاً . كلكم ضدى . أنا الغلبان . لم تنتصح فافعل ما شئت . هذه الجارية لا تعرف مصلحتك . القاضى سيعرف . . سيعرف . . (يظهر يوسف من خلف الساتر فيهرب الحلاق داخل الصندوق ويغلقه على نفسه. يحكم عليه يوسف الرتاج وهو يدق بجماع قبضتيه فوق غطاء الصندوق المغلق ظاهريا المفتوح فعلا، ويجأر من بين أسنانه « فلتختنق ! فلتختنق ! » ثم يلتفت منهكا الى ضيفتيه وشفيقة تلم ملابسه من فوق الأرض)

ياسمينة : يا حبيبى ! وجهك أصفر . انت جريح ؟

يوسف : جداً ! بت أحلم الليالى الطوال بلقائنا . . لم أتصور أبدا أن نلتقى فوق كومة من الملابس والأثاث المضطرب ، أنت صفراء من الذعر ، وأنا أنتفض من الغضب .

ياسمينة : (مرتعشة) يا حبيبى . . نحن نلتقى على أية حال . ماذا حدث لك ؟

يوسف : لا تسأليني .

شفيقة : أعد لك متاع السفر .

يوسف : شفيقة ! أخرجي من فورك . إبرحي هذا المكان في التو ، لا تلمسي أي شيء .

شفيقة : أتوسل إليك ، لا تفرقني عن حبيبتي . دعني أخدمكما . خلني أسافر معكما . لا تفصلني عن وحيدتي .

ياسمينة : يا حبيبتي ، يا أماه ، كما يلذ لك أن أسميك .. يعلم الله كم يؤلمني أن أفارقك . ان قلبي ينشطر شطرين ، ونفسي تنقبض لذلك . ولكني أتوسل إليك أن ترحلي ولا تناقشيني من جديد .

شفيقة : (تبكي) يعز على أن أفارقك. (ترتمي كل منهما في صدر الاخرى)

ياسمينة : الوداع ياشفيقة ، يا أمي ، ياحبيبتي . ادع الله لي . الوداع ،

يوسف : (يشيح بوجهه) ...

شفيقة : سأودعك (من خلال دموعها) ولكن لا تنظرى إلى وأنا خارجة حتى لا يضعف قلبي . أديرى ظهرك . الوداع ياحبيبتي . (تقبلها ثم تلحق ياسمينة بيوسف . شفيقة تغلق الباب بقوة ، وتغافلهما وتختبيء خلف الساتر)

يوسف : أخيراً . . وحدنا .

ياسمينة : (وقد عاودها الخفر) خرجت .

يوسف : سأعيد تنظيم الغرفة .

ياسمينة : آه !

يوسف : حبيبتى . .

ياسمينة : خيل إلى أن الساتر يهتز .

يوسف : لقد رأينا ما يكفينا ليوم واحد . ما أحمقنى ! ما الذى يدعونى لترتيب البيت ؟ العالم كله فوضى . أن ننسحب منه خير من أن نحاول عبثا إعادة تنظيمه .

ياسمينة : يوسف . . أنا خائفة .

يوسف : من المجهول الذى ندلف إليه ؟

ياسمينة : لا لا . بل .. واخجلى ! منك .

يوسف : أقسمى لى يا ياسمينة انك فكرت مليا ، بعقلك لا بقلبك ، فى الرحيل معى .

ياسمينة : عقلى لم يعد معى . ولكنى قد عولت على قلبى . وأقسم لك بكل عزيز ، يا أعز شىء عندى ، أنى أثق فيما دعوتنى إليه .

يوسف : لقد عافت نفسى معايشة الناس . ابتذلوا حياتنا ودنسوا أشياءنا . كرهت الغدر والظلم والسوقية والرياء . . العالم ركام قذر ! الأنهار تجرى فى كل

أرض ، ونحن نجف من الظمأ ! الشمس تشرق كل يوم ، ونحن نتخبط طول حياتنا فى الظلام !

ياسمينة : ما أعذب ما تقول وما أقساه . أنا أيضاً كرهت جسمى واستغثت بكل ما هو روحى شفاف . دعنى أرحل عن هذا العالم طاهرة .

يوسف : رأسى يدور . دعينى ألمس يدك .

ياسمينة : لا تلح علىّ ، فما أستطيع أن أعصاك .

يوسف : ألثم ردائك .

ياسمينة : أغثنى من نفسك يا يوسف .

يوسف : يشق علىّ أن ألوث طهرك مع ذلك .

ياسمينة : هيا وعجّل.

يوسف : آه ما نعانى . . لحظة ونفيق إلى الأبد ، لحظة ونثوب إلى الخلود ، لحظة ثم اللقاء الأبدى . .

ياسمينة : لن نفترق أبداً .

يوسف : (بيد مرتعشه يصب الشراب من الابريق فى الكأسين ، ويقدملها كأسها) مازلت خائفة ؟

ياسمينة : (بصوت مرتعش) لا .

يوسف : لا ترددى . . تعالى .

ياسمينة : (بصوت منخفض جداً) أين ؟

يوسف : مرقدنا . سرير العرس .

ياسمينة : (مترددة) نرقد ؟

يوسف . بعد لحظة سينتفى كل سبب لخوفك .

ياسمينة : أيغفر الله لنا ؟

يوسف : من أحب فعف فمات ، مات شهيداً .

ياسمينة : أنصبح شهداء ؟

يوسف : شهداء هذا العصر .

(يخرجان بالكأسين والمسرجة فيخيم الظلام ونظل نسمع

(صوتهما من الخارج بعد أن اسدل يوسف ستار الغرفة الداخلية. يطل الحلاق وشفيقة من مخبأيهما. لا يرى احدهما الآخر)

ياسمينة : (من الخارج) أهذا الشراب مؤلم ؟

يوسف : (من الخارج) على الاطلاق .

ياسمينة . (من الخارج - تتنهد) آه .

يوسف : (من الخارج) لا تخافى .

ياسمينة ; (من الخارج) ابتعد قليلا يا يوسف .

يوسف : (من الخارج) أريحى رأسك على الوسادة .. اهدئى يا حبيبتى !

ياسمينة : (من الخارج) أحس أنى مسافرة فى عالم مسحور .

يوسف : (من الخارج) أنا معك ، يا أحب شىء عندى .

أبو الفضول : (يطل من الصندوق هامساً) لا أكون أبا الفضول ولا اسمى باسمى إن لم يكن هذا زنا .

شفيقة : (تطل من خلف الستار هامسة) يا خرابى ! بلازواج .. بلا زواج !

أبو الفضول : (بصوت خافت) هلك الولد وهلكت البنت معه .. صح ما توقعت . خسر الدنيا والآخرة . خسر الحب

والحياة وضاع بلا رجعة . يا هوه !

شفيقة : (همسا) قتلني أبوها ومزق جثتي . . أنا السبب . أنا السبب . يا خرابك يا شفيقة .

أبو الفضول : (متمتما) إه ؟ ماذا قالت له ؟ أخال القاضي مختبئاً تحت السرير ما أخبثه . . يفوته هذا الأمر ؟ لن يفوته . والوزير ؟ سيظهران لجأة . ذبحاهما .

شفيقة : (همسا) ماذا يقول لها ؟ إه . أبوها لن يعرف ؟ سيعرف ! والله سيعرف ! إنه هنا . ينظر بعينيه ويسمع بأذنيـــه . . أكاد أراه . قتلنا كلنا ! يا خرابي !

أبو الفضول : (بصوت خافت) ماذا تقول له ؟ سأوقفه . . سأنقذه قبل أن يقع الفأس في الرأس . والله لأدافع عنه حتى الموت .

شفيقة : (منصتة) ماذا يقول لها ؟ سأمنعه قبل أن يضيع عمرنا جميعاً (يخرجان من مكمنيهما ويتسللان في هدوء ثم يصطدمان وسط المسرح)

أبو الفضول : (يفزع بشدة) قتلوا سيدي !

شفيقة : يا دهوتي ! (تثب إلى الشباك وما أن تفتحه حتى تسمع دقة طبل موكب رسمي) الحقوني ! قتـــلوا سيدتي !

السفاح ! ضاعت حياتها . يا خرابى !

أبو الفضول : (يثب إلى الشباك الآخر يفتحه) قتلوه ! يا هوه !! الحقونى ! قتلوهما ! النجدة !

(تصدح طبول الموكب . هرج ومرج . تتوقف الطبول . يفتح الباب على مصراعيه وتبدو من فرجته جماهير مختلفة الأزياء والأعمار يفسحون الطريق ليتقدم إلى وسط المسرح الخليفة ، ومن خلفه الوزير ، وخلفهما القاضى . فالسياف)

الخليفة : اغلق الباب يا مسرور . فلنضبط هذه الواقعة فى هدوء .

مسرور : مولاى . (مسرور يغلق الباب ويقف عنده منتبها)

شفيقة : (لا تلحظ أنها فى حضرة الخليفة فتمسكه من كمه وهى مهتاجة جداً وتتحدث بسرعة دون أن تلتفت إليه) هنا يا سيدى . كان هنا ومعه موسى يشهرها عليه . يقصد سيدى يوسف ابن شبندر تجار الموصل . وما أن صرخت : « يا خرابى ! يا خرابى ! » اختبأ منى . جرى من هنا (مشيرة إلى ناحية الشباك الثانى)

أبو الفضول : (فى نفس الوقت ممسكا بالوزير من كمه ويتحدث بسرعة دون أن يلتفت إليه) من هنا يا سيدى . سمين كغولة نافشة شعرها . . أسود مخيف . يقصد يوسف ابن شبندر تجار الموصل . . ما أن رآنى

حتى صرخ وجرى من هنا ليختبئ .

(يصطدم الاثنان فى وسط المسرح فينتفضان ويهتف كل منهما للاخر « أنت ! »)

القاضى : يا إلهى ! لا أصدق عينى ! اسمح لى يا أمير المؤمنين. اسمح لى يا سيدى الوزير . أخاف أن تكون قد حلت ببيتى مصيبة .. فهذه المرأة جاريتى. وهذا الرجل خصمى .

شفيقة : (تتنبه لسيدها والخليفة) يا مصيبتى ! (تتراجع مذعورة جدا)

أبو الفضول : (فى نفس الوقت يتنبه للموقف) القاضى ! يادى الداهية !

(يدخل الصندوق من فورة ولكى القاضى يخرجه)

الخليفة : (للقاضى) حقق بنفسك .

القاضى : لا أكاد أصدق . ماذا تفعلين هنا ياشفيقة ؟ أين سيدتك ؟ تكلمى !

شفيقة : (تتلعثم) لست أنا . . ليست هى . . يا خرابى !

(تسقط على الارض)

القاضى : تكلم ! ألست أنت حلاق السوق ؟ ماذا تفعل مع جاريتى يا شيطان ؟ هه ؟ فى ساعة الصلاة تتطارحان الغرام ؟ !

أبو الفضول : (يتعلثم) لست أنا ! لا أعلم . . ضاعت حياتى هذه المرة ! يادى المصيبة.

الخليفة : (بصوت لا يخلو من استمتاع بطرافـــة الموقف)
يا للصدفة ! جارية القاضى وحلاق السوق أو السوء لم
أتبين بالضبط . ما رأيك يا وزير ؟ أهما فى حالة تلبس ؟

القاضى : ياضيعة شرفى ! يا مصيبتى بك ! أتعقبتنى لتنتقم منى ؟
ويلك !

الوزير : يحسن يا مولاى أن نبحث هذا الأمر بحثا أدق . فهذان
الشخصان كانا يستغيثان ويصرخان : القاتل السفاح ..
وهذا ليس شأن العشاق فى خلوة الغرام عادة .

الخليفة : يا ذكاءك يا وزيرى ! هو ذاك .

القاضى : (كالمستغيث) إذن لم تلوثى شرفى ؟ لم يكن بينكما
مواقعة ولا غرام ؟

شفيقة : أقسم ياسيدى .

القاضى : (يتنفس الصعداء) ما الحكاية إذن ؟ تكلمى. تكلم.

شفيقة : (تبكى بحرقة) لا شىء .

أبو الفضول : لا شىء أقسم ياسيدى . لا شىء البتة .

الخليفة : (يضحك) لغز ! إقترب موعد الصلاة فلنجرب ذكاءك مرة أخرى يا وزير .

الوزير : أرى أن السر كله يكمن خلف هذا الستار يامولاى.

الخليفة : مرحى ! مرحى ! لماحاً كعهدى بك ! ماذا تظن يرقد خلف هذا الستار ؟ جثة مزقها سفاح ؟

الوزير : أخشى أن نجد جسدين لا جسدا واحداً .

الخليفة : (منزعجا) قتيلين ؟

الوزير : بل عاشقين .

شفيقة : أبداً ! أبداً ! ليس هنا أحدغيرنا نحن الاثنين. اقسم.. (تنهمر دموعها بشدة)

أبو الفضول : (فى نفس الوقت) لا أحد . . لا أحد . . والله . . أبداً . . أبداً . .

الخليفة : عجبا ! دعنا نسترسل فى الأمر لنهايته . من تظن العاشقين يا وزير ؟

الوزير : الرجل اسمه يوسف . وهو ابن شبندر تجار الموصل كما ذكرت المرأة وذكر الرجل . أما عشيقته فلا أطيق أن أذكر اسمها يا مولاى ، فإن مصيبتى بها

لا تقل فداحة عن مصيبة أبيها .

القاضى : (لاهثا) ماذا تعنى ؟

شفيقة : يا داهيتى ! غير صحيح . اقسم . أتوسل إليكم . في عرضك يامولاى .

أبو الفضول : لم أر شيئا . لا شأن لى . والله أنا رجل غلبان . كنت مارا فقط . أنا حلاق ياسادة ، أقصد حمال يعنى ، أعول سبعة عيال . .

الخليفة : (متسليا جداً) أتعتقد أننا منحناهما الفرصة الكاملة للافلات من حالة التلبس ؟

الوزير : لن يستطيع القاضى أن يحكم برجمهما الآن .

القاضى : ماذا تعنى ؟ من تعنى ياسيدى ؟ والله لأمزق جسديهما بيدى . وامصيبتاه ! ويلاه ! وافضيحتاه ! لو كانت لهما عشرة أعمار ، وألف قلب ، وبحر دماء ، ماشفى غليلى منهما قتلهما كل صباح مدى الحياة . . آه ياجارية السوء .

الخليفة : رويدكم . الأمر خطير فيما يبدو . مسرور افتح الستار .

(قبل أن يتحرك مسرور يفتح الستار ويبدو من فرجته يوسف مصفرا ومن خلفه ياسمينة منكمشة) .

يوسف : أخطأت ياسيدى الوزير . فلم يكن خلف الستار جسدان بل جثتان .

الخليفة : تقدم يا يوسف إن كان هذا اسمك . . صه! سأتولى أمره بنفسى . ما حكايتك ؟ جئتى من تقصد ؟

يوسف : أنا ويا سمينة بنت قاضى بغداد . (ياسمينة تخفى وجهها والجو يتوتر)

الخليفة : انتما ميتان ؟ !

يوسف : بعد لحظة واحدة سنسقط ميتين . فقد شربنا السم من هذا الابريق .

أبو الفضول : أ . . تـ . . سم . . بـ . . .

شفيقة : (تدق صدرها وتتأوه) رأيتهما بنفسى يشربان ارأيتهما بنفسى يشربان !

القاضى : ياسمينة . .

الوزير : فعل شنيع !

يوسف : أشنع من أن يتزوج شيخ فى الستين بابنة السبعة عشرة ؟

الخليفة : من ؟ يتزوج من ؟

يوسف : وزيرك يا أمير المؤمنين . يتزوج بهـــذه الياسمينة الصغيرة !

الخليفة : (ضاحكا) هل تخصصت فى بيت القاضى ياوزير ؟!

الوزير : مولاى . . صدقت رواية العامة .

يوسف : اسأل وزيرك . . اسأل قاضيك .

الخليفة : (للوزير والقاضى) أهذا حق؟

الوزير : لم أكن لأتزوجها رغما منها .

القاضى : كان سيدى الوزير سيتزوجها أما هذا الولد فقتلها غيلة وحق عليه الحد .

يوسف : أنت قاتلها وقاتلى .

الخليفة : مهلا ! مهلا ! على بطبيب يا مسرور .

مسرور : أمر مولاى. (يفتح الباب ولكن الحلاق يتدخل)

أبو الفضول : اسمح لى يا مولاى . كلمة قبل أن يذهب مسرور .

الخليفة : تكلم .

أبو الفضول : أتزوجهما لو نجيا ؟

الخليفة : ما هذا السؤال ؟

أبو الفضول : خير لهما أن يموتا الآن بالسم . . من أن يموتا موتا بطيئا بتباريح الهوى والحرمان .

الخليفة : هذه ارادة الله . إذا نجيا تزوجا .

أبو الفضول : يجب أن يوافق أبوها .

الخليفة : ما رأيك ؟

القاضى : أمر مولاى .

الخليفة : وأنت ؟

الوزير : نزلت عند رغبة مولاى .

يوسف : آه .. وا أسفاه على ما ضاع !

أبو الفضول : زوجهما الآن .. فقد كتب الله لهما حيـــاة ثانية ..
لن يموتا .. أنا الذى كنت سأموت .

الكل : كيف؟ !

أبو الفضول : كيف ؟ ! كاد دمى يجف . أفزعتمونى فزعا شديداً ..
يا إلهى حكمتك !

يوسف : ما الأمر ؟ ماذا فعلت ؟

أبو الفضول : ألم تلحظ يا سيدى انك ما شربت إلا ماء زلالاً
مصبوغا بصبغة الشعر .. لقد سرقت الشراب المسموم
وأنا أرغى الصابون .

الكل : سرقت السم ؟ !

أبو الفضول : ظننته والله شيئاً مما يقوى الرجل على العشق ..
سرير عرس ، وموعد غرام ، وشراب يرقبه صاحبه
بحرص وتدقيق ! !

(الخليفة يقهقه عاليا وشفيقة تهتف : « ويلك ! » ثم تتدارك .
فتخفى وجهها وهى تضحك . ياسمينة يداهمها فجأة شعور
بالخجل والحياء الشديدين ، بينما يستشيط يوسف ويهتاج) .

يوسف : أنت أيضاً ! ! أى جريمة لم ترتكبها يا خبيث ! أى
زبون لم تعرى ، أى متاع لم تسرق ، أى سر لم تهتك ،
أى عرس لم تتطفل عليه ، أى مأتم لم تفسد ؟ !
أنت دائماً . أنت يا حلاق السوء .

أبو الفضول : ايه ! إحمنى يا أمير المؤمنين . . الحق على أنا. أنقذت حياتك. سمك آهه. . اشربه . تفضل. (يسكب القارورة على الارض)

الخليفة : (مستمتعا جدا) ها نحن قد صنعنا خيراً قبل أن نذهب للصلاة . تعال معنا يا يوسف . دع عروسك الآن ولنتوجه لله بالشكر على ما وفقنا إليه . هيــــا بنا . يجب أن يملأك السرور يا وزيرى وأنت يا أبا يا سمينة للصدفة العجيبة التى وفقتنا لهذه النتيجة . وأنت يا يوسف .. لقد عرفت فى بغداد شبابا أقل منك يأساً، وهؤلاء لا ينتحرون ، بل يطمحون لاصلاح هذا العالم . ليس فيهم رقة الصبا والسذاجة التى فيك . يحق لك أن تنعم بهذه الميزة .

يوسف : شكراً يا مولاى . إن عدلك وسماحة نفسك قد جعلانى أكثر تفاؤلا بالحيــاة وحباً للناس ، (لياسمينه) ولك يا حبيبتى .

القاضى : لقد دبرت كل شىء يا مولاى ، وأنا نزلت عند رغبتك . ولكن بقى شىء . هذا الولد الحلاق فضولى جداً ، إرتكب من الحوادث والمخالفات ماينوء رجل واحد بحمله . ولكن كل ما ارتكبه يهون بالنسبة لما

سيرتـكب . فوالله أنى لأراه قاطعا بغداد بالطول والعرض يلوك سيرتى ويحكى حكاية ابنتى ويسىء إلى شرفى وسمعتى .. فإن فضوله لا ينفع معه حد ..

أبو الفضول : أنا ! ؟ أنا الفضولى ؟ ! أنقذت حياتين وزيجة ، وبرضاك أنا الفضولى ؟ ! أنا الطفيلى ! ؟ أنا ...

شفيقة : يخيبك رجل ! إمال من ؟

أبو الفضول : فما رأيك أنت ياسيدى القاضى فى دار القضاء ، التى لا تدع لى سبيلا إلى ذقن زبون إلا إذا دفعت الرسم ، وحصلت على الإذن ، واستخرجت رخصة ؟ !

« ستار »